**في أدب النقد والأدباء النقاد**

**أ.م.د.هيام عبد زيد عطية**

ما من شك في أن النقد " لم يلق عبر العصور تعريفاً مطلقاً ولا منهجاً موحداً "[1] ، فهو مجال واسع لاتكاد تحيطه حدود التعريف أو تطيقه الرؤى الوصفية ،إذ إن نظامه يعمل في اتجاهات شتى ،ويأخذ من المعارف المتنوعة ،ويتناول الإبداعات الفنية جميعاً؛من أجل هذا بات من غير اليسير الجزم بوجود صفة نقدية مستقرة يمكن أن يحدد بها الناقد ، فمهمته متواضعة وصعبة في آن معاً هي: جعل العمل متناسقاً مع المثال الأعلى الخاص بذلك العمل .[2]

ولأن خير من يدرك هذا المثال هو الأديب نفسه وليس الناقد فإن من الضروري الاعتراف بأن الناقد يقوم " بتقديم حديث حرفي حول نوع آخر من الحديث يعدّ مجازياً"[3] وإن خالق هذا الحديث هو الأديب ،وهو عارف بماهية الأدب أكثر من غيره ولاسيما أن الناقد الحقيقي الأصيل هو الذي ينتقد الشعر من أجل أن يخلق الشعر على حد قول ت.س. إليوت[4] ،فعلى الرغم من أن التجربتين منفصلتان بمعنى أنه يجب " أن لا تستعمل إحداهما حجة لتبرير الأخرى"[5]،ولاسيما أن "الخلق يستنفد كل الملكة النقدية في دائرة الخلق ذاتها ولا يهددها في دائرة تخص ما عداها"[6]،فالأديب يمتلك اشتراطات نجاح قوله ويعرفها حق المعرفة،كما أن كثيراً من النقاد يستطيعون إقامة أدب راقٍ قادرٍ على كسب الرضا والنجاح،فلقد مضى ذلك الزمن الذي أقام الحدود العميقة الفاصلة بين هذا وذاك حينما أخذ الزمن الحاضر يعبر عن" ردة فعل عنيفة ضد الفن الخالص وضد البحث الخالص وضد النقد الخالص"[7] ،بعبارة أخرى فالمرء ينبغي "أن يمارس الأدب كي يكون مؤهلاً ليصبح ناقداً"[8] وقد عبر بودلير عن ملكة النقد التي يحوزها الأديب بقوله :"من غير المألوف أن يصبح الناقد شاعراً ،ولكن من المستحيل أن لا يحتوي الشاعر ناقداً"[9] ، فالأدب يمتد دوماً أبعد من النقد ؛لأنّ " النظام أسوأ من سجن العقل أو هو نوع من الجحيم "[10]

إذن لا ينبغي للنقد أن يقنن في حجر مظلمة أو أن يوضع في علب الأشخاص ومحافظهم إنه الطاقة على الرؤيا المستديمة لكل ما هو صالح وممتد ومؤثر ،وهو رهين الأدب وصنوه لا يفترقان ولا يختلفان وإن تباين عمل كلّ منهما ،فالآراء النقدية التي يعتنقها الكاتب على سبيل المثال ،هي في الأغلب تعبيرات عن جدله مع نفسه حول ماذا ينبغي له أن يفعل في المرحلة التالية وماذا يتجنب ،فالشاعر ناقد يهتم بكاتب واحد ولاتعنيه الأعمال التي لم تكتب بعد[11].

وإذا كان أرسطوطاليس قد فصل بين الشعر والحكم عليه عندما دعا الشعراء إلى تفسير أقوالهم ولم يتمكنوا من ذلك فتوصل إلى أنّ الشاعر ليس بالضرورة قادراً على أن يعطي صورة مبسطة لتعبيره المجازي ولا حتى إعادة صياغة هذا التعبير بأسلوب جيد [12] ،فإنه يمكن الإفادة هنا من اشتراطات بعض من وجد النقد مرتهناً بالذوق السليم والفطرة الموجودين عند كل قارئ أو من وجد أن الناقد لايبلغ مهمة النقد من دون الذكاء والثقافة الواسعين والدراية بكل أوضاع الأدب وطرقه [13] ،وتلك بالضرورة يمتلكها كثير من الأدباء .

وفي كل الأحوال فإن النقد عامة قد شهد آراء نقدية مهمة لا يمكن تغافلها كان مصدرها بعض الشعراء ،فهوراس الشاعر الروماني المعروف جعل من روح نظرية أرسطو المثل الأعلى للنقد الأدبي في أوربا ،وكانت أقواله تقرأ وتدرس لأنه شرح تلك النظرية وألزم الشعراء بها [14] . كما أن دريدن الشاعر الانكليزي وضع مقالاً في النقد الأدبي بهيأة قصيدة متأثراً في ذلك ب(بن جونسن) فكان أبا النقد الانكليزي بحق .[15] وكذلك فعل( بوالو) حينما وضع منظومته النقدية (فن الشعر) التي عدت مصدراً مهماً لدراسة الشعر[16] وعندما جاء (بوب) نادى باقتفاء أثر الأقدمين في كتابة الشعر ،أي إنه أعاد صياغة النظرية النقدية القديمة [17] أما صاحب الكوميديا الإلهية الشاعر الايطالي (دانتي)فقد دافع عن اللغة القومية ودعا إلى استخدامها في الأدب بدلاً عن لغة العلم في كتابه المسمى (في اللسان العامي)[18] .. ولعل قائمة الشعراء الغرب الذين دخلوا حقل النقد المعرفي تكاد لا تنتهي ،فالشاعر الألماني (شلي) وجد في الشعر أثرا خلقياً لايمكن تجاوزه ،[19] والشاعر الانكليزي (وردزورث)ذكّر بأن اللغة الصحيحة في الشعر هي اللغة التي يتكلمها الناس والمهم طريقة استخدامها ،[20] هذا فضلاً عن آراء كل من كولردج وهوجو وماثيو آرنولد وبول فاليري وت . س .اليوت ،[21] ناهيك بالشاعرين الامريكيين البارزين اللذين يعدان ناقدين بارزين وهما : جون كرونسوم وآلن تيت .[22]

ولعل أهم ما قاله الشعراء حول الشعر وشكل قاعدة نقدية مهمة هو ما ذهب اليه الشاعر الانكليزي (مانزوني) في مقدمة منظومته الفخمة ،فكل مؤلف لديه يحتوي في أثنائه القواعد التي يجب أن يحكم بها عليه، أو كم يقول (مانزوني ) نفسه :إن كل مؤلف يبسط – لمن يريد أن يفحصه – المبادئ اللازمة للحكم عليه . وهذه المبادئ يمكن استنطاقها بأن نسأل ثلاثة أسئلة :ما غرض المؤلف الذي يرمي إليه ؟ وهل الغرض المرمي إليه غرض معقول ؟ وهل استطاع أن يبلغ المؤلف هذا الغرض ؟ أي اكتشف الغرض ،أحكم عليه ،ثم انقد صنفه الأدبي ،وهو بذلك يسهل عملية النقد ويبلغها إلى كل البشر ، وأولهم الشعراء ويثبت أن التذوق الشخصي للنص أمر مسوغ لا يفترق عليه النقاد .[23]

وإذا كانت مهمة النقد قد أوكلت في كثير من الأحيان الى شعراء بارزين عند الغرب ، فإن الشعراء العرب ليسوا بأقل حظ منهم ،فقد شكلت آراؤهم أساساً مهماً سار عليه كثير من مجايليهم أو من جاء بعدهم ، وقد أشار د. عبد الجبار المطلبي الى أن الشعراء من فئة النقاد الذين يتصدرون ميادين الحكم الأدبي ،كما أنه يرى بأنه من الممكن أن تكون لهم آراء نقدية .وهم في حقيقة أمرهم نقاد الى حدّ ما بانتخابهم إطارا لقصائدهم ومنحىً في الوزن والقافية .[24] ومنشأ النقد عند د. المطلبي وجود دوافع تلح على الأديب في ممارسة ملكته النقدية والإدلاء بآرائه وأحكامه.[25]

وفي الشعر العربي قديمه[26] وحديثه أمثلة كثيرة في هذا الشأن ولعل أبرز التجارب الناشطة والمميزة أو التي حول فيها شاعر أفكار وثوابت مجتمع ثقافي إلى حدّ بعيد هي تجربة الشاعر السوري أدو نيس الذي نقل بثابته ومتحوله أفكاراً قارّة ومتأصلة إلى النقد وإعادة النظر وتلك خطوة لم يقدم عليها النقاد أنفسهم ،ولعل العلة في ذلك تكمن من طاقته الشعرية القادرة على تحول المألوف إلى غير المألوف والعكس بالعكس.[27]

ومن التجارب النقدية العراقية التي خاض فيها شعراء، أمثلة أخرى لاينبغي تجاوزها فنازك الملائكة والبياتي مثلاً أثبتا مقدرتهما النقدية بجملة من المقالات والكتب التي عبرا فيها عن آرائهم ووجهات نظرهم وخرجا بحصيلة من المعارف والاستنتاجات التي خضعت للنقاش من سواهما من النقاد.[28]

وإذا كان الأدب العراقي الحديث قد عرف السياب شاعراً مبدعاً ومتميزا فأَولدت على لسانه خطوات الشعر الحر الأولى وبنت من خلال أشعاره فلسفة الحداثة في الشعر العراقي مع زملائه،فإنه والتأريخ يشهد له بذلك لم يكن شاعراً ملهماً فطرياً حسب إنّما كان مثقفاً ملتزماً عارفاً بأصول عمله ووسائله وقد جاءته هذه المعرفة من دراسته واطلاعه وخبرته بالناس والأشياء ؛إذ تهيأت له ملكة نقدية في أدب الحقبة التي وجد فيها شعره ، فكان له رأي فيما كتب من شعر وفيما وضع من نقود حول شعره وشعر الآخرين ،ومجموع أقواله تلك قد جمعها وأعدّها وقدم لها (حسن الغرفي ) في ما أسماه (كتاب السياب النثري )شمل مجموعة من المقالات التي كانت موزعة في الصحف والمجلات فضلاً عن عدد من اللقاءات أجريت مع السياب آنذاك .

ولعل تلك المقالات – وإن جمعها كتاب واحد – تكاد لاتشكل كتاباً نقدياً مستقلاً كما هو الحال مع نازك الملائكة أو أدو نيس أو الخال أو سامي مهدي أو غيرهم من تلك الكتابات التي تحمل مخاطر التأسيس النقدي والانفراد عن الشعر ، إنما هي خطوات نقدية مختصرة تحمل فكر الشاعر عمّا

يقرأ أو يكتب ، فهي ليست تأسيساً لنظرية معرفية تتماز عمّا هو شائع ، إنّما هي آراء تعتمد الذوق السليم والأسلوب الناضج وتتبني على الدليل العلمي والتحليل الفكري ممّا سيتبين تالياً . وإذا كانت النرجسية والانتصار للذات والحدة تظهر هنا وهناك فذاك لأنّ السياب في آرائه يميل إلى اختصار ردوده وتبيان آرائه فيما يقرأ أو شاع في وقته ، الأمر الذي يدعونا لتجاوز كل ما هو خارج عن دواعي النقد واحترام آرائه التي تحمل صدقاً كبيراً وأسلوبا في التبصر والاستشهاد وإيجاد البديل النقدي الملائم ، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى الاعتراف مع الأستاذ د. جلال الخياط في أنّ النقد "إبداع مركب ، متخصص، يعتمد خلق النص بنص جديد قائم عليه ، إبداع في طيه إبداع ، يخرج من الإبداع بإبداع مغاير ،صعب جداً ؛ لأنّ الإبداع الأول ... هو فطري أو لايمتلك غير الموهبة . والإبداع الثاني (النقد) مقيد بالإبداع الأول ... إنه الثقافات كلها يسقط جدار الوهم بين المعارف البشرية كلها ، وبين القدرات كلها ، ويجمع ويكشف ويبلور الإنسان مانحاً أو متقبلاً للأفكار والنوازع والمواجد والمواهب " [29] ، أو على حدّ رؤيا الأستاذ فاضل ثامر : بأن هناك بعض المدعين يمارسون الكتابة النقدية في مراحل لاحقة من حياتهم الأدبية ، وبالذات بعد أن تتضح مواقفهم ورؤاهم الإبداعية ، بهدف إشراك القارئ بهموم المبدع الثقافية وقراءاته المختلفة . وهم في هذه الحال لايقدمون أنفسهم نقاداً ومشرعين ومنظرين ، بل أصدقاء يتحدثون للقراء حديثا اليفاً وخافتاً. [30] وبذلك يمكن القول مع القائلين : "إن الكثير من النقد البديع لايقوم على ما اختص به الناقد من ثاقب النظر والمشاركة في العاطفة وسرعة الخاطر وحسن الإدراك ، أو مجرد القدرة على التعبير بلباقة وقوة وما يشاكل هذا من الميزان من غير أن يتعب الكاتب نفسه في تأليف نظرية وتقرير مبدأ . ويمكننا أن نسمي هذا النوع من النقد بالإلهام"[31] والذي نحاول أن نبينه هنا أن آراء السياب النقدية جزء من هذا النقد .

**موسيقى الشعر عند السياب**

ناقش السياب فيما ناقش من أمور الشعر قضية الموسيقى وإيقاع القصيدة ووزنها وقافيتها وكل ما يمت إليها بصلة منطلقا في ذلك كله من مسألة شغلت بال الأدباء والنقاد في حينها وهي مسألة الحداثة،ولاعجب في ذلك فالسياب من رواد الحداثة والمنتصرين لها،وعماد هذه الحداثة لديه الانفلات من صيغة القصيدة التقليدية ، ومن ثم بناء القصيدة الجديد على وفق إيقاعات موسيقية تلائم غرض الشاعر غير محدودة أو مقيدة بنموذج يحدد سلفا من قبله والأوزان التي قصدها السياب هنا ليست إلا الأوزان الخليلية القديمة التي اعتمدها الشعراء وما الدعوة هنا إلا إلى إعادة صياغة الشكل الشعري بموجبها وليس العكس أي إعادة ابتكار أوزان أخرى.

ومع أن الموسيقى هنا أكثر أمور الشعر إثارة للسياب وشغلا لفكره فإن آراءه في هذا الباب تأتي استجابة لما يقرأ هنا وهناك من مقالات أو دواوين يلمح فيها ما يستحق الوقوف والتأمل ،أي إنه لم يخصص لموضوع الموسيقى هذا دراسة مستقلة يعمد فيها إلى ذكر آرائه كاملة مع شواهد معينة حتى إذا فرغ منها تنبه إلى سواها ،إنما جاءت آراؤه على وفق حاجته وظروف الكتابة.

إن السياب في فهمه لحداثة الموسيقى الشعرية لم يعترض على الشعر العمودي ولا على موسيقاه ،بقدر ما اعترض على التنميط والاعتياد فيه،فهو يشترط في الشعر احتواءه على ديباجة قوية وموسيقى ظاهرة وأسلوب ممتاز لتُستطاع قراءته أولا ولكي تستسيغه الآذان والروح ثانيا[32]

والسياب في وقوفه إلى جانب الشعر الحديث في موسيقاه الجديدة إنما يفرض منهجية وأسلوبا يتسمان بالنظام،فالحرية في موسيقى الشعر لم تكن لديه تخريباً للأنظمة وشيوع الفوضى بل مطالبة الشاعر الحديث بخلق معايير جديدة،وأن عليه أن ينحت لا أن يرصف الأجر القديم على حد تعبيره.[33] ومفهوم حداثة الموسيقى يعني عنده حداثة السياق لا حداثة النمط لذا نراه يقول "لقد شبعنا من تلك القوالب التي تفرضها القافية ،كالجحفل الجرار ،والشفير الهاري،والنسيم الساري ،والصيب المدرار ،وهذه الصفات والموصوفات التي يجمعها بحر واحد"[34] وهو يجد مع زملائه أن تجربة الشعر الحديث خاصتهم شبيهة إلى حد ما بما فعله الشعراء الأندلسيون حين كتبوا الموشحات،فالموشحات هي الخطوة الأولى وما قام به السياب مع زملائه على حد قوله هو الخطوة الثانية ،بعد أن مهد الطريق لهم شعراء المهجر [35]وهذا يعني أن السياب ينفي أن تكون التجربة وليدة اللحظة أو المفاجأة،بل هي نتيجة جملة من التجارب ورغبة قديمة في التغيير.

إن نظرة السياب النقدية فيما يخص الشعر وحداثة الموسيقى يتخذان أصدق منحى حين ينطلق الشاعر نفسه في جعل قصائده كبش فداء لتلك التجربة الغريبة ،فقد وطأ لديوانه (أزهار ذابلة) بعبارة قال فيها :"إن أول ما يلتقي به القارئ في هذا الديوان ،نوع من الموسيقى لاعهد لأغلب قراء الشعر في العراق به"[36] كما أطلق في المقدمة نفسها مصطلح( رتيبة) على موسيقى الشعر القديم ...وهو يشرح كل ذلك في موضع آخر إذ يقول "لا يهمنا في الشعر الوزن الواحد بل يهمنا وزن البيت نفسه ،أي لايخرج عن موازين الشعر المعروفة ،ولا يهم بعد ذلك إن كانت القصيدة في أبياتها ذات موازين متعددة"[37]

لقد ركز السياب جل طاقته في قراءاته لبعض الأشعار المعاصرة له على تطبيق حرية الشعر المنظم، وقد واجه النقاد والشعراء بكلام عنيف لم يحاب به أحدا أو يغض عنه النظر ،فقد قدم نقدا عن

مقال كتبه (رئيف خوري ) عن قصيدة (الناس في بلادي)للشاعر صلاح عبد الصبور نبه فيها القراء إلى جملة أغلاط موسيقية وقع فيها الشاعر ولم يتنبه لها الأستاذ الخوري ،وقد عاب عليه مدحه للقصيدة التي يحمل الديوان عنوانها والمبنية على نغمات بحر الرجز والمتكونة من أربعين شطرا فيها إثنا عشر شطرا مختلة الوزن ،كما أشار الى أن عبد الصبور ،عطش الياء في البيت الأول وحقها التخفيف:

**الناس في بلادي جارحون كالصقور...**

ويستمر في نقده فيعيب على الخوري عدم الالتزام بمنهجية معينة وقد اتهمه بالمحاباة على وفق أدلة من شعر العيسي والفيتوري لم ينصفها الخوري ،على حين فعل العكس مع الشاعرة نازك الملائكة ،وفي كل ذلك كان السياب يؤسس وجهة نظر خاصة به عن أولئك الشعراء .[38]

ومن جملة ما أوقفه للمناقشة رأي للأستاذ ناجي علوش أورده عن بعض قصائد السياب ناقش فيها (علوش)وزن إحدى القصائد ووجد فيها خللا موسيقيا من نوع ما وقد رده السياب بأن لا خطأ فيها ؛فقد قال :إن الاستاذ ناجي علوش يرى قولي :

**أن يرى ظلاله على الرمال**

لاوزن له وفي رأيه نصيب من الصحة إذا قرأنا البيت بمفرده .أما إذا قرأناه متصلا بالبيت السابق له :"أحي هو أم ميت ..فما يكفيه أن يرى ظلاله على الرمال " نجد أنه من بحر الرجز ،ولكي نوضح الأمر أكثر نكتبه كما ينبغي أن يقرأ..

**أن يرى /ظلاله/على الرمال**

**متفعلن/متفعلن/متفعلان**

ثم يستمر في تفصيل مستفيض لذلك[39] والأمثلة على ذلك –فيما يخص الموسيقى – كثيرة لمن أراد الرجوع إليها[40]

على أن السياب في نقده عندما ينتصر للسياب الشاعر فذاك لأنه حين رضي بقراءة نتاجات الآخرين من أبناء جيله وحين حاول نقدها لم يتقبل كل ما كتب حتى أنه سمى طائفةً منهم بالمتشاعرين وقد عاب عليهم عدم مقدرتهم استعمال الشعر الحر؛ يقول في هذا الباب :"إذا شاعت كتابة الشعر دون التقليد بالوزن فلسوف تقرأ وتسمع مئات من القصائد التي تحيل (رأس المال) و(الاقتصاد السياسي) وسواهما من الكتب ومن المقالات الافتتاحية للجرائد ... إلى الشعر ،وهو

،لعمري،خطرٌ جسيم"[41] ،وقد انتقد في هذا المقال قصيدة كتبها (الناعم )وجدها السياب من هذا الباب .

لقد عرف السياب الشعر على أنه "لغة يغلب فيها المجاز ،وهو تعبير يعبر عن العواطف ثم عن العواطف ثم عن الأفكار ،وانه يكون موزونا ،وأنا – حسب قوله – ضد الشعر الذي بدون وزن"[42] .فهو بذلك يدعو إلى الحداثة وعدم الالتزام بنظم الشعر القديم القائم على الوزن الواحد والقافية الواحدة من خلال نوع جديد من الموسيقى ،تلك الموسيقى التي تشجي الأسماع وتلهب المشاعر من دون أن تشيع فيها الرتابة والروتين ؛حقا كان السياب فيما كتب بشأن الموسيقى إلى جانب التغيير والتبديل لكن انتصاره هذا لم يكن نوعا من التمرد غير المدروس إنما هو إحساس بالإمكانات المترتبة على ذلك التجديد ،أي ماتهبه القصيدة الحرة لشعرائها من انطلاق غير محدود .أي إنه لم يقف مذهولا أمام كل ما كتب لحداثته أنما عالجه وميز الحسن فيه والدائم من السيئ المؤقت وهو في اتقانه لبحور الشعر وحديثه المتواصلِ عن إمكاناتها غير المحدودة يكاد لا يفترق عن كثير من النقاد الذين يعتقدون أنّ خلو أشعار أمة من الأمم من القوافي ليس مما يسلب الشعر موسيقاه كلها ،أو يجرده منها ومن أبرز خصائصه وهو النغم ، والذين يذهبون إلى أبعد من ذلك حينما يقررون أنّ خروج شاعر عن نظام القوافي والتزامها ، أو حيدة شعب من الشعوب عن مراعاة القوافي في أشعاره لا يسوغ القول مع بعض القائلين :يجب أن نلتمس في الشعر أمراً آخراً غير الموسيقى يميزه من النثر[43] لأنّ السياب دافع عن الموسيقى وأصّل لها بمبادئ جديدة ان بالشعر أو بنقده للشعر الجديد .

موضوعات الشعر عند السياب

شغل الموضوع والأفكار التي يبنى عليها العمل الأدبي ذهن السياب في شعره منذ بواكيره الأولى ،وظل الأمر يشغله حتى تولدت لديه نظرته الخاصة في الأسباب التي تدعو الشعراء إلى قول الشعر ،ومنها الأحداث السياسية والالتزام والتيارات الشعرية وسواها ،وإذا كان الشعر أكثر ما ركز عليه في هذا الجانب ،فلأنه ينبع من موهبته ومعرفته .على أنه لم ينس ألوان الأدب الأخرى وأهمية هذا الأمر فيها وهو في حديثه عنها إنما يعتمد على ذوقه وثقافة عصره ،وقد شكلت تلك الآراء تأريخاً لحقبة مهمة جمعت السياب وبعض الموهوبين في وقت واحد ،وشملت صنوف الأدب المختلفة من شعر ورواية ومسرحية وقد أورد في حديثه عنها أسماء أعلام الأدباء مادحاً مرة وذامّاً مرة أخرى على وفق قيمة العمل الأدبي .ومبعث المدح والذم لديه التزام الشاعر فالأفكار والمعاني الخالدة تخلق الشاعر خلقا وتجدد من نفسه الشعري ،فشرط الشاعر لديه أن لايكون بوقاً سياسياً وهو–أي الشاعر–

يعبر عند السياب عن المطامح والأشواق الأبدية التي لاتتغير مهما تغير نظام الحكم أو الجو السياسي ،وقد استشهد على ذلك بانقلاب الشعراء الروس الشباب إلى التعبير عن ذواتهم ،فهو دليل على أن السياسة لايمكن أن تحدد عواطف الإنسان أو تقيدها .[44]

ولأن ظروف حياته قد انعكست على شعره فإنه قد عمم هذه القضية على شعر الشعراء ،مدعيا أن ظروف حياة الشاعر غير السعيدة هي التي تدعوه إلى قول الشعر ولاسيما سمة الموت والتشاؤم التي نتلمسها في قصائدهم متناسيا أن بعض الشعراء من الذين عاشوا ظروفاً طبيعية قد استهواهم الموضوع نفسه فكتبوا عنه .[45]

والسياب يعمم أحياناً جملة من الانطباعات التي تحتمل أكثر من رأي فالشاعر العربي لديه يعبر عن ذاتيته بل هو يعبر عن غرض أو ناحية يرى أنها توصله الى نوع من البوح الذاتي ومخاطبة النفس والبحث عن أسرارها وآلامها [46] مبعداً بذلك جملة من الأغراض الأخرى التي تدعوه للقول ومنها الأوضاع الملحة الاجتماعية "[47]

أما أهم مظهر من مظاهر حداثة الشعر عند السياب فهو استعانته بالطاقة الفنية للخرافة والاسطورة خدمة لأغراض رمزية كبيرة ،فهو يقول :"لم تكن الحاجة إلى الرمز والأسطورة أمس مما هي اليوم فنحن نعيش في عالم لا شعر فيه أعني أن القيم التي تسوده قيم لا شعرية ،والكلمة العليا فيه للمادة لا للروح وقد عاد الشاعر إلى الأسطورة، إلى الخرافة التي ما تزال تحتفظ بحرارتها لأنها ليست جزءاً من هذا العالم"[48] وهو في هذا يظهر إعجابه قبل تحليله لأنه أول من استخدم تلك الظواهر في شعره ودواوينه حافلة بذلك.

## لغة الشعر عند السياب

ناقش نقاد الأدب مسألة اللغة الشعرية نقاشاً عميقاً وما زالوا –حتى الآن– لم يقفوا فيها على خلاصة ورأي ،ذلك لأن اللغة عماد الأدب ،كما هو حال الخطوط التي هي عماد الرسم،والنغمات التي هي عماد الموسيقى. واللغة الشعرية لا تعني الكلمات حسب إنما هي الجمل والتراكيب وما تعنيه الكلمات مجتمعة،أي هي المعنى الكامن خلف الألفاظ وإمكاناتها غير المحدودة مما تناولته المناهج الحديثة كالأسلوبية والبنيوية بالدرس متابعة اللغة في كل حالاتها لإظهار ما قد يكون خافياً خلف التراكيب والجمل.

ولقوة اللغة وأهميتها ولكونها العماد الأول في صياغة الأدب اعتقد بعضهم أنّ النتاج الأدبي إنما يصدر عن قوى غيبية تمد الشعراء والكتاب بالقول ،فتجربة الشاعر الشعرية لاتخرج إلاّ بهيأة ألفاظ تأخذ وضعاً خاصاً في نسق معين يحق لها أداء المعنى والصورة المطلوبين ،لذلك ناقش النقاد علاقة كل من اللفظ والمعنى بذوق الشاعر وعاطفته وسواها مما له علاقة حميمة بالكلمات والألفاظ[49] فإذا نظرنا إلى النواحي المختلفة التي تستخدم الألفاظ فيها عن عمدٍ وعن تدبرٍ أدهشنا أننا في بعض الأحيان تعجبنا الألفاظ بغض النظر عما قد تنقله إلينا من المعاني بينما نحن في حالات أخرى لانستطيع التفريق بين إعجابنا بالمعنى الذي وصل إلينا وبين إعجابنا بالعبارة التي أوصلته[50]

والسياب في تطرقه لمفهوم اللفظ والمعنى واللغة الشعرية لم يخرج عن جملة من المعايير تعامل معها النقاد على أنه تفرد فيما تحدث عنه حول مفهوم الحداثة ومقدار ما تهبه الألفاظ واللغة الشعرية للشعر الحر الحديث،وأول ما بدأ به رأي أدلى به حول لغة الشاعر الجاهلي إذ قال :" اعتقد أنّ اللغة من الأسباب الأولى التي يجب أن يوضع عليها الإصبع ،فلقد كان الشاعر الجاهلي يتحدث بلغة أهله وقومه ،أما الآن فإنّ الازدواج اللغوي قد حدد التوسع الفكري بصورة عامة والشعر بصورة خاصة"[51] .فهو يقارن بين لغة الأمس واليوم فلا يشجع الاكتفاء بالصيغ الجاهزة من العبارات والتراكيب مما ألفته الأسماع ،فالواقعة اللغوية عنده واقعة ثقافية تزداد عمقا كلما ازداد الشاعر وعيا بتراثه وواقعه ومسؤولياته،وكلما تعمق في رؤاه وإحساسه بسمو التجربة التي يخوضها.

ومع وقوف السياب إلى جانب اللغة المعاصرة وما يمكن أن يبنيه الشعراء منها انتقد التكلف في قصائد بعض الشعراء وعده عيبا خطيرا وآية ذلك الرسالة التي بعث بها إلى صديقه خالد الشواف والتي نقد بها إحدى قصائد الشاعر .وقد عاتبه فيها على أحد أبيات تلك القصيدة إذ قال :"قصيدتك..كانت جميلة منطلقة من عاطفة فخلت من التكلف.إلا بيتا واحدا أرى عليه سمة التكلف :

ورضيت حين فتاك أغرقه الرضى  أ شقيت حين الصب أحرقه الشقا[52]

إن اللغة الشعرية لديه ليست كلمات مرتبة عشوائيا إنما هي انبعاث للكلمات من خلاصة تجربة ومشاعر تملكت الشاعر فسيطرت على كيانه. الذي نجده في هذا المقام يدل على موضوعية السياب ودقته في نقده إذ لم يجامل صديقه الشواف ولم يجرح به ولم يفوته أمر في قصيدة صاحبه وإن قل شأنه.

وقد تعرض السياب لمفهوم المبالغة في حديثه عن اللغة الشعرية ،فالمبالغة لديه ذات حدين ؛التضخيم والتصغير ،وقد تطرق إليها في معرض حديث ضمنه في رسالة بعث بها لصديقه عبد الكريم الناعم ناقش فيها قوله :

وأشلاء ذرات الرمال..

فقد عدها السياب من المبالغة لأنه جمع بين التضخيم والتصغير معا .وهو هنا يستنكر عليه مثل هذا الجمع لأنه لايمت إلى الشعر بصلة ؛فتجنب مثل تلك المبالغات حسن في مثل هذا الحال ؛لأنه يناقض ما يسبقه من كلمات في قصيدة طويلة أجهد الشاعر نفسه في تركيبها [53]

وقد انتقل في حديثه عن اللغة الشعرية الى كثير من ظواهرها ومثال ذلك حديثه عن القصر (حذف الهمزة من الكلمات الممدودة التي تنتهي بها) فقد عده عيبا ، على الشاعر تجنبه وتركه ما أمكن ؛لأن الحداثة تستوجب مثل ذلك الترك فتسمية صحراء بصحرا مستهجنة عنده .كما انه توقف في الرسالة نفسها عند تسكين بعض الكلمات الواقعة في وسط البيت (أوله أو بعد ذلك ) فتسكين الكلمات مما لايجوز حدوثه إلا في نهاية البيت الشعري وأتى على ذلك بمثال من شعر الناعم: قولك:

فهنا القدم أثر القدم

خطأ بالغ يمكن أن تقسم هذا البيت إلى شطرين مستقلين ليصبح صحيحا من الناحية اللغوية :

فهنا القدم

أثر القدم[54]

ولعل تلك الملاحظات الدقيقة لم يتنبه لها أحد من غير العارفين بالشعر[55]

لقد تطرق السياب إلى لغة الشعر الجاهلي وناقش لغة الشعر الحديث ثم انصرف إلى الشعر الإنكليزي من باب معرفته به ،وقد دعا الشعراء إلى تتبع أشعار شكسبير وملتن وهو في حديثه عنهما يتساءل عن سبب تحرر كل منهما من بعض الألفاظ والموازين على الرغم من براعتهما في لغتيهما ،وهو يجيب عن ذلك في أنه ليس جهلاً في اللغة إنما زيادة في التحرر وزيادة في التمكن من الوصول إلى ما يرومون إليه من توصيل معاني الشعر ومراميه إلى الجماهير بصورة أكثر تبسيطا وأكثر فائدة[56]

لقد أهمت اللفظة السياب الناقد فأشار "إلى أن من بين الأشياء التي يؤكد عليها الشعر الحديث الاهتمام باللفظ ،وليس معنى هذا أن الشعراء القدامى لم يكونوا يحسنون استعمال الألفاظ ولكن معناه أن الشاعر الحديث الذي خلف له الأوائل إرثا هائلاً من الألفاظ التي رثت بكثرة ما تداولتها الألسن

والأقلام مكلف أن يعيد لها اعتبارها وينفخ فيها من روح الشباب ولكل لفظة تأريخ يختلف من لغة إلى لغة ولها كيان خاص يستمد ألوانه من ذلك التاريخ "[57]

لقد حول السياب لغة الشعر الحديث حتى قيل عنه إنه طلائعي اللغة[58] فقد عالج بنية اللغة الشعرية مع زملائه على وفق ما يفرضه الموقف الشعري وما تمليه السياقات الزمانية التي وردت قصائدهم فيها ،أي إنّ السياب عمد إلى خلق بنى لغوية نشطة تمتلك أسرارها بين جنبيها ،بغية استمالة المتلقي وشده إلى الواقعة الشعرية بشموليتها بدلاً من وقوفه أمام ألفاظ بعينها أو تراكيب مخصوصة .

والنقاد الذين ناقشوا تلك المسألة أخذوا بعين النظر آراء الشعراء الذين تبنوها فليس التعبير عن فكرة في الأدب من أجل الفكرة نفسها إنما من أجل توصيل التجربة الشعرية منظمة ومفصلة .وليس الأمر في هذا قاصراً على الفكرة بل كذلك العاطفة والأثر الحسي والإلهام النفسي وجميع تلك المعاني المتعددة الأشكال والصور التي تصحب حركات الفكر ،هذه التجارب كلها يجب توصيلها إلى ذهن القارئ باستثناء خياله .[59]

لاسيما أنه أحد الشعراء الذين تأثروا بتلك الأوضاع فكتبوا قصائد هي من صميم الحقبة التي وجدوا فيها كالأسلحة والأطفال والمومس العمياء وحفار القبور وجيكور أمي وسواها .على أن ذلك لايمنع من القول إن للسياب ميزة في حديثه عن الموضوعات التي يتعامل معها الأديب ،وهو بذلك لايختلف مع النقاد عندما يقول :"إن الشاعر الحق لديه أشياء أخرى لم يقلها ،وهو لم يقلها لا لأنه لم يوفق الى قولها ولكن لأنه يعتبرها من نافلة القول"[60]

هوامش البحث

[1] الاتجاهات الأدبية في القرن العشرين،البير يس،ت جورج طرابيشي:124.

[2] ينظر :أهداف النقد المشروعة ،فيكتور برومبيرت ،ت: يوئيل يوسف عزيز ، الأقلام ،ع : 1-3، 1995: 60.

[3] ما هو النقد ،بول هيرنادي ،ت:سلافة حجازي :262.

[4] ينظر :مفاهيم نقدية ،رينيه ويلك : ت :محمد عصفور:408

[5]خرافات أدبية :عبد الجبار داوود البصري:96.

[6] مفاهيم نقدية:410.

[7] نفسه:426.

[8] أهداف النقد المشروعة :

9 نفسه :62

[10] نفسه :62

[11] ينظر ،مفاهيم نقدية ،409

[12] ينظر :فن الشعر ،أرسطو طاليس ،تح،عبد الرحمن بدوي : 52

[13] ينظر :في النقد الأدبي،دراسة وتطبيق،كمال نشأت: 135،19

[14]ينظر: الأدب المقارن ،د.محمد غنيمي هلال :20

[15] ينظر:قواعد النقد الأدبي، راسل إبركرومبي: 164

[16] ينظر :مبادىء النقد الأدبي ،أ .أ .ريتشارد ،ت:محمد يوسف نجم :365

[17] ينظر :قواعد النقد الأدبي ،145

[18] ينظر:نفسه،125

[19]ينظر،النقد الادبي ،أحمد أمين :

[20] ينظر :نفسه ،187

[21] يراجع لمعرفة شأن اليوت في الشعر والنقد يراجع : ت. س. اليوت الشاعر الناقد ، ف، أ . ماشين ت:إحسان عباس ، بيروت 1965

[22] ينظر : مفاهيم نقدية :420

[23] ينظر : قواعد النقد الأدبي ،181

[24] ينظر: الشعراء نقاداً، د. عبد الجبار المطلبي : 9

[25] ينظر: نفسه، 13

26 الشعراء العباسيون نقادا،منعم سلمان الموسوي:56

[26] ينظر:خرافات أدبية ،95-96

[27] يراجع مثلاً: قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم ، بيروت ط6 1981

[2]8 المتاهات: ،د. جلال الخياط : 85

[29]ينظر : مدارات نقدية ،. فاضل ثامر : 114

[30]قواعد النقد الأدبي: 137

[3]1 ينظر:كتاب السياب النثري،80

[32] ينظر :نفسه،85

[33] نفسه،93

[34] ينظر :نفسه :80

[35] ديوان أزهار ذابلة : 5

[36] نفسه،7

[37] ينظر ،نفسه،136_138

[38]ينظر : كتاب السياب النثري : 136-138

[39] ينظر : نفسه :180،181،182

[40]كتاب السياب النثري ،179

[41]نفسه،120

[42] ينظر: موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس : 97

[43] ينظر:كتاب السياب النثري ،104

[44] ينظر:نفسه،121

[45] ينظر : نفسه :81

[46] نفسه: 139

[47]كتاب السياب :68-69 .

[48] ينظر: في النقد الأدبي، /57- 63

[49] ينظر:نفسه /19

[50] كتاب السياب النثري /93- 94 .

[51] كتاب السياب النثري :159

[52] :ينظر : نفسه:179

[53]ينظر :نفسه:179- 180

[54] نفسه: 80

[55] ينظر :كتاب السياب النثري ،56

[56] اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي:محمد رضا مبارك،197

[57] ينظر:نفسه،85

[5]8 ينظر :قواعد النقد الأدبي،36

[5]9كتاب السياب النثري : 87 .

جريدة المصادر والمراجع


-الاتجاهات الأدبية في القرن العشرين ، البير ياسين ، ت: جورج طرابيشي ، بيروت ، 1965

-الأدب المقارن ، محمد غنيمي هلال ، ط1.

-تأريخ النقد الأدبي ، د. داود سلوم وآخرون ، بغداد ، ط1.

-ت . س. اليوت ، الشاعر الناقد ، ق. أماثين ، ت: إحسان عباس ، بيروت ، 1965.

-خرافات أدبية ، عبد الجبار داود البصري ، الموسوعة الصغيرة ، دار الشؤون الثقافية العامة (449) ، بغداد ، 2001.

-خمسة مداخل الى النقد الأدبي ، ويلبرت ، ت: د. عناد غزوان، وجعفر صادق الخليلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد،1989.

-الشعراء نقاداً،عبد الجبار المطلبي،دار الشؤون الثقافية العامة بغداد،1986.

-فن الشعر،أرسطرطاليس ،ت:عبد الرحمن بدوي،دار الثقافة،بيروت،1953.

-في النقد الأدبي،دراسة وتطبيق،د. كمال نشأت،ط2، 1976.

-قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم ، بيروت ، ط2، 1981.

- قواعد النقد الأدبي ، لاسار أيركرومبي ، ت: محمد عوض محمد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط2 ، بغداد ، 1986.

- كتاب السياب النثري ، جمع وإعداد وتقديم ، حسن الغرفي ، فاس ، 1986.

- اللغة الشعرية في التراث النقدي العربي ، تلازم التراث والمعاصرة ، د. محمد رضا المبارك، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1993.

- ما هو النقد ، بول هيرنادي ، ت: سلافة حجازي ، م. عبد الوهاب الوكيل ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1988.

- مبادئ النقد الأدبي ، أ.أ ريتشاردز ، ت: محمد مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية ، القاهرة ، 1973.

- المتاهات ، د. جلال خياط ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2002.

–مدارات نقدية ، في إشكالية النقد والحداثة والإبداع ، د. فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1987.
– مفاهيم نقدية ، رينيه ويلك ، ت: محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة (110) ، مطابع السياسة ، الكويت ، 1987.
–موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ،مكتبة الانجلو المصرية ، ط2، 1965.
–النقد الأدبي ، أحمد أمين دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط4، 1967.
– النقد الأدبي أصوله واتجاهاته ، أحمد كمال زكي ، الهيأة المصرية العامة ، 1972.

الدوريات

–أهداف النقد المشروعة ، فكتور برومبيرت ، ت: د. يوئيل يوسف عزيز ، الأقلام ، ع1، 1–3، 1995.

الرسائل والأطاريح

– الشعراء العباسيون نقاداً ، منعم سلمان الموسوي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1989.

bstract

The research sets out With hy pothesis that the poet bears within his heart acritic spirit and he is able to direct his sophisticated criticism to other writers works in conformity with his awaraness and eulture .he is fully aware how the poet writes his poetry more than critics sinse what he writes of

poetry carrie the seeds of his criticism within his heart by editing and re vising , basicaluy his pieces.

Al – sayyab is one of poets who is immor talized by his vivid works in makiny Arabies poetic moderinity . So it is natural for him to master criticism and criti cat energy which enables him to impose spirit of correct views on different parts of poetic text.

خلاصة البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها أنّ الشاعر يحمل بين جنبيه روح ناقد بشكل أو بآخر وأنه قادر على توجيه النقد الرصين لأعمال غيره من الأدباء وفاقاً لوعيه وثقافته ، فهو على معرفة بالكيفية التي يكتب بها الشاعر شعره أكثر من النقاد لأنّ ما يكتبه من شعره يحمل بذور نقده بين جنبيه من خلال تنقيحه وإعادة النظر فيه وإنتاجه بالدرجة الأساس.

والسياب واحد من بين الشعراء الذين خلد ذكرهم بأثره الواضح في صناعة الحداثة الشعرية العربية ، ومن الطبيعي والحال هذه أن يكون ممتلكاً لناصية النقد والطاقة النقدية المتمكنة من فرض روح الآراء الصائبة في مختلف أجزاء النص الشعري . وأكثر من ذلك فإنّ السياب لم ينغلق عند حدود الخلق الشعري ومحاورة القصائد بالنقد داخلياً بغية الوصول إلى حالة شعرية مثلى ، إنّما امتد يراعه لنقد أشعار غيره وتقويمها ويتضح ذلك في مجموع آراء كتبها حول موسيقى الشعر ولغته وأفكاره أيضاً وهي أمور جعلت البحث يستنتج جملة أمور أهمها :

1-إنّ السياب جال في آرائه بين أمور الشعر جميعها (موسيقاه ، لغته ، موضوعه)

2-إنّه وقف ضد التقليد ودعا إلى إعادة النظر بالشعر من زاوية الإبداع والاكتشاف لا على مثال سابق .

3-إنّ بعض آرائه تصدر عن نرجسية واعتزاز بالنفس كبيرين.

4-إنّه لم يكن يكتب نقوده من أجل تأسيس نظرية نقدية أو وجهة نظر متكاملة الأبعاد ، بقدر ما هي ردود فعل لم يستطع الإبقاء عليها سراً فبثها هنا وهناك .

5-إنّ المفاهيم النقدية التي اجتاز عليها السياب لم تكن لتفترق كثيراً عن آراء نقاد عصره سوى أنّه كان ضنيناً بالكلمات فاكتفى بالنزر اليسير منها ، وهو الأمر الذي جعل نقوده بعض مقالات لم تصل شأو الكتاب كما فعلت نازك الملائكة وغيرها من الشعراء .

1